الحفاظ على الوقت

وأثره في بناء الإنسان الناجح

إن الوقت في الإسلام له أهمية عظيمة، واستثمار الوقت يجب أن يكون أهم أولويات المسلم في الحياة اليومية، فلا يضيعه في سبل لا تأتي عليه بالفائدة في الدنيا والآخرة، ولا يكرس الوقت في ما يلهيه عن ذكر الله تعالى والعبادات والطاعات، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩]

وبين سبحانه في الآية الكريمة عاقبة الخسران لمن يغفل عن ذكر الله تعالى والتقرب إلى الله الكريم بالخيرات وفعل الحسنات، وفي هذا نذير من الانشغال بملذات الدنيا والركون إليها، وتوجيه لاستثمار الدنيا وما يملكه الإنسان من موارد للاستعداد للآخرة.

وقال الله تعالى: { وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر]، وفي هذه السورة العظيمة منهج كامل للمسلم وموعظة بليغة للاهتداء بها، وفيها استثنى الله سبحانه طائفة من الناس من عاقبة الخسران، وهي الطائفة التي أقامت حياتها على أربعة أسس جليلة، وهذه الأسس هي:

الإيمان بالله تعالى، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والتعاون على تحقيقه، والصبر في سبيل ذلك كله على مواجهة الصعاب والشهوات والأذى، ولذا فتكريس المسلم لوقته أمر حتمي لفعل الطاعات والتقرب بالحسنات، وذلك طلبا للنجاة برحمة الله الملك وتوفيقه. وفي القرآن الكريم بيان حكيم لأهمية الوقت وتدبر قيمته، قال الله تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب} [الشرح:٧-٨]

لما كانت الشريعة لا تعرف الفراغ، ولا تشجع على الكسل واللهو الغير مباح، فقد حضت على اغتنام كل لحظة، وكل دقيقة، فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، حَلٌّ لِمُشْكِلَةِ الْفَرَاغِ الَّتِي شَغَلَتِ الْعَالَمَ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ لِلْمُسْلِمِ فَرَاغًا فِي وَقْتِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا فِي عَمَلٍ لِلدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي عَمَلٍ لِلْآخِرَةِ.

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنِّي لَأَكْرَهُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَكُونَ خَالِيًا سَبَهْلَلًا، لَا فِي عَمَلِ دُنْيَا وَلَا دِينٍ "

قال الله تعالى: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [الأعلى:١٧]، وفي تفسير الآية الكريمة يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: " (والآخرة خير وأبقى) أي : ثواب الله سبحانه في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟!". والآية الكريمة توضح المنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلم، وهو إدراك قيمة الآخرة وتقديرها حق قدرها، وهو الأمر الذي يتولد عنه استثمار الوقت في البحث عن الآليات التي تعمر دار الخلود. وأهمية الوقت مقترنة بحقيقة لا ينكرها أحد وهي الموت، فبحلول الموت ينفذ الوقت لفعل الطاعات، قال الله تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١٠-١١]، والآية الكريمة تبين خطر تأخير التوبة والتسويف، والاستعداد للرحيل، وتبين فضل الصدقة وعظم أثرها، وهذا حث لكل مسلم على المسارعة بالصدقة والمساهمة في تحقيقها بكل السبل والتعاون مع المسلمين على ذلك

الوقت من خلال أحاديث خير الأنام عليه الصلاة وأزكى السلام

حظي الوقت بنصيب وافر من العناية فيما نُقِلَ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال، والتي يمكن تناولها من خلال دراسة النصوص الدالة على عناية النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالوقت، وذلك ضمن ما يلي:

١- **الوقت من أعظم منن الله**

تؤكد السُّنَّة المُطهَّرة ما جاء في القرآن الكريم من أن الوقت هو من أعظم نعم الله على عباده، وأنهم مأمورون بحفظ الوقت ومسؤولون عنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ» (الشيخان) ، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «كثيرٌ من الناس» : "أي أن الذي يُوفَّق لذلك قليل، مصداقا لقوله جل جلاله وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ(ص٢٤)

فقد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون" ومعناه الخاسر،

الذى ظلم نفسه، بأن فوت على نفسه الخير الكبير، والأجر الوفير، وفي هذا الحديث "ضرب النبيُّ صلى الله عليه وسلم للمُكلَّف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقُه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يُغبن، فالصحة والفراغ رأس مال، وينبغي له أن يعامل اللهَ بالإيمان، ومجاهدة النفس وعدوِّ الدِّين، ليربح خيري الدنيا والآخرة

ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن قيمة الوقت واغتنام العمر بقوله: اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ . (البيهقي شعب الإيمان)

وعن عمر فيما أفناه؟ الوقت مسئولية.

وقت المسلم أمانة عنده، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، هذا ما تؤكده السُّنَّة المُطهَّرة، وإن ثمة أربعة أسئلة سيُسألها العبد عند الله عز وجل يوم القيامة، منها سؤالان مختصان بالوقت، ففي الحديث عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عُمُره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (الطبراني) . أي أن العبد في ذلك الموقف العصيب، يوم القيامة، لن تزول قدماه، ولن يبرح ذلك المكان، حتى يُسأل ويحاسب عن مدة عمره بعامّة كيف قضاها، وعن فترة شبابه بخاصة كيف أمضاها، ذلك أن الشباب هو محور القوة والحيوية والنشاط، وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر الأخرى، ولأهميته تلك فقد خُص بالسؤال عنه مستقلاً مع أنه داخل ضمن السؤال عن العمر.

وأنت في كل يوم تسير إلى ربك، تقرب من لقاء الله مرحلة، كما في الحديث المشهور للإمام الفضيل لما سأل الرجل! كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربّك، يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنّا لله وإنا إليه راجعون، فقال فضيل: من علم أنّه لله عبد وأنّه إليه راجع، فليعلم أنّه موقوف، وأنّه مسئول، فليعدّ للمسألة جوابا، فقال له الرّجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنّك: إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

خذ في جدّ فقد تولّى العمر ... كم ذا التّفريط قد تدانى الأمر

أقبل فعسى يقبل منك العذر ... كم تبني كم تنقض كم ذا الغدر

تقسيم الوقت وتنظيمه

حض النبيُّ صلى الله عليه وسلم الأمة على الاهتمام بتنظيم الوقت وتوجيهه لمعالي الأمور في الحياة الخاصة والعامة، فيقول فيما يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألم أُخْبَر أنّك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: بلى. قال: فلا تفعل، قم ونم وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لِزَورِكَ عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» (متفق عليه) .

فحري بالمسلم ألّاّ يخل بهذه الموازنة، بل الواجب عليه أن يوزع وقته للوفاء بهذه الحقوق جميعها، دون أن يطغى جانب منها على الآخر، ولا يخفى أن المقصود هنا ليس توزيع الوقت بين هذه الحقوق بالتساوي، إنما المراد التسديد في ذلك والمقاربة في الوفاء بها جميعاً قدر الاستطاعة.

لقوله صلى الله عليه وسلم لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَكِنْ سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا "(المسند) وقوله صلى الله عليه وسلم فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ(البخاري) وهو حض من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اغتنام الوقت، خصوصا وقت إجابة الدعاء في الغدوة، وقت النشاط لذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الضحى، وقبل الغروب مصداقا لقول الله جل جلاله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] وقوله سبحانه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠] وقوله سبحانه ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢] وقوله جل جلاله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فهذه أوقات الإجابة من الفجر وحتى طلوع الشمس، ووقت الضحى، ومن العصر إلى المغرب، وفي الثلث الأخير من الليل، وبين الآذان والاقامة.

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: " حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يَنْصَحُونَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عُيُوبِهِ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ؛ فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ تَكُونُ عَوْنًا عَلَى هَذِهِ السَّاعَةِ وَاسْتِجْمَامِ الْقُلُوبِ ، وَفَضْلٍ ، وَبُلْغَةٍ، وَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ طَاعِنًا إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثَةٍ يُزَوِّدُ لِمَعَادٍ أَوْ عَزِيمَةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ. وَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِزَمَانِهِ مَالِكًا لِلِسَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ " (مصنف عبد الرزاق- وابن أبي الدنيا والحلية وابن حبان وجامع العلوم والحكم)

ومن حُسن تنظيم الوقت أن يُجعل فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجِدِّ، والقلوب تَمَلُّ كما تملّ الأبدان، فلا بد من قَدْر من الترفيه المباح،

عن حَنْظَلةَ الأُسَيْدِيَّ – رضي الله عنه- وكان مِن كُتَّابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقالَ: كيفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قالَ: قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحَانَ اللهِ! ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حتَّى دَخَلْنَا علَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَما ذَاكَ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنْ لَوْ تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. (صحيح مسلم) . هكذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعلِّم أصحابه ويبيِّن لهم أن القلوب تَكِلُّ وتتعب وتتقلَّب، فمن الحكمة مراعاتها والترويح عنها بين الفينة والأخرى بما أحل الله، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك وطبقوه في حياتهم العملية؛ وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنِّي لَأَسْتَجِمُّ نَفْسِي بِالشَّيْءِ مِنْ الْبَاطِلِ، لِأَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْحَقِّ.

والله سبحانه إنما خلق اللغات والشهوات في الأصل لتمام مصلحة الخلق؛ فإنه بذلك يجتلبون ما ينفعهم، كما خلق الْغَضَبَ لِيَدْفَعُوا بِهِ مَا يَضُرُّهُمْ، وَحَرَّمَ مِنْ الشَّهَوَاتِ مَا

يَضُرُّ تَنَاوُلُهُ، وَذَمَّ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا. فَأَمَّا مَنْ اسْتَعَانَ بِالْمُبَاحِ الْجَمِيلِ عَلَى الْحَقِّ، فَهَذَا مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ ويكون له فيها أجرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أما يكون عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: فَلِمَ تَحْتَسِبُونَ بِالْحَرَامِ وَلَا تَحْتَسِبُونَ بِالْحَلَالِ؟» (مسلم)

نماذج أحسنت استغلال الوقت

١- الإمام الشافعي – رضي الله عنه-

كان أشبه الناس بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل الناس خلقا وأعرفهم للعربية، حريصا علي العلم والوقت، نشأ يتيما فقيرا ولم يمنعه ذلك من تلقى العلم ولا الصبر على مذاكرته حُكيَّ عن الإمام الشافعي - رضي الله عنه وأرضاه - أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قبل حُلمي، فقال لي: "يا غلام" قلتُ: لبيك يا رسول الله، فقال: "من أنت"؟ قلتُ: من رهطك يارسول الله، فقال: "ادنُ مني"، فدنوت فأخذ شيئا من ريقه ففتحتُ فمي، فأمرّه على لساني وفمي وشفتي، فما أذكرُ أني لحنتُ بعد ذلك في حديث ولا شعر".

وكان لا يتكلم بالكلمة إلا في موضعها ويعرف للوقت أهميته وللعلم جلالته وهيبته

ألزم نفسه رضوان الله عليه منذ صغره بملازمة طريق العلم والجد، فكان لا يضيع لحظة دون أن يتعلم الجديد في أمر دينه ودنياه، كان نموذجا رضي الله عنه وكان من كلامه رضي الله عنه: الوقت كالسيف ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل!

ولذا فقد ألزم نفسه بذلك، وشغل نفسه بمطالعة العلم، وملازمة مجالس العلماء، فكان رحمه الله حجةً في اللغة وملماً بالكتاب والسنة، وعالماً بفقه أهل الحجاز، حيث حفظ الموطأ على الإمام مالك في المدينة، وكان عالماً بفقه أهل العراق، حيث تتلمذ على محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة. فجمع بين أسس المدرستين وأما فطنته وذكاؤه فيكفينا فيهما ما

روي أنه كان إذا أراد قراءة كتاب وضع يده على الصفحة المقابلة لئلا يلمحها نظره فيحفظ الصفحتين معاً فيتشوش حفظه وكفاه أنه استنبط من حديث: («يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» سبعين مسألة وهو مستلق على فراشه) كان في أول الزمان فقيرا، ولما سلموه إلى المكتب ما كانوا يجدون أجرة المعلم، وكان المعلم يقصر في التعليم إلا أن المعلم كلما علم صبيا شيئا كان الشافعي رضي الله عنه يتلقف ذلك الكلام، ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي رضي الله عنه يعلم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم فرأى الشافعي رضي الله عنه يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه، فترك طلب الأجرة واستمرت هذه الأحوال حتى تعلم القرآن كله لسبع سنين!!

ويقول عن نفسه: لما ختمت القرآن دخلت المسجد أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكنت فقيرا بحيث ما أملك ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم أكتب فيه وأستوهب الظهور من أهل الديوان وأكتب فيها! والحديث عن مولانا الإمام رضي الله عنه يطول ولكن هذا غيض من فيض، وما أردته أن أبين أن الإمام نموذجا عمليا لتحدي الصعاب، وحسن تنظيم الوقت ولعله في أبياته الرائعة يضرب لطالب العلم

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدَني إلى ترك المعاصي

وقال اعلَمْ بأنَّ العلمَ فضلٌ ... وفضلُ الله لا يؤتاه عاصِ

الإمام النووي:

يحيى بن شرف بن مزي بن الحسن بن الحسين الحزامي النووي (٦٧٦هـ/١٢٧٢م)

أوحد زمانه فِي الورع والعبادة والتّقلل وخشونة العيش والأمر بالمعروف، كان تهابه الملوك، وتجله العوام، وترحل إليه طلاب العلم من كل حدب وصوب، كان الظاهر بيبرس على عظيم قدره، وعظم سلطانه واتساع ملكه يجله ويهابه، وينزل على رأيه، لقد كانت مصنفات ومؤلفات مولانا الإمام النووي تنم على شخصية متفردة، جمعت بين جمال اللغة وقوتها، وعلم الحديث وشرفه، مع القوة في علم الأصول والفقه، والجرح والتعديل، وعلوم التاريخ والعقيدة والتصوف، والكلام، والمنطق، ولعل من أشهر مؤلفاته كتابه الموسوم ب(الأربعين النووية) ولعله من أكثر الكتب طباعة وانتشارا في تاريخ التراث الإسلامي كله، هذا بجانب شرحه الذي يعد من أعظم الشروح وأنفعها على

صحيح الإمام مسلم – رحمه الله ورضي عنه- كان رحمه الله آية في العلم والزهد والورع والدين، شيخ الأئمة وقدوتهم، في كل فن، فإن رمت النحو والصرف فسيبويه عصره، وإن أردت الحديث فمحدث العصر وكل عصر، وإن رمت التاريخ والتراجم والرجال والعقائد، والكلام والمنطق والتدريس والتربية والسلوك فالزم بابه، وإن أحببت أن تعيش مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته وحديثه وشمائله وصفاته فالزم كتبه ومصنفاته!

ذلك أن الإمام النووي رحمه الله طاف بالأمصار يتلمس العلوم عند الأكابر، فكان سنده متصل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فقه وفهم، وعلم أسس من خلاله مدرسة في الحديث والمصطلح والأصول والفروع، حتى أنه اتعب من جاء بعده، فمن هذا الذي يدانيه في علم وفي كرم!

قال تلميذه ابن فرح: صار الشيخ محيي الدين إلى ثلاث مراتب كل مرتبة منها لو كانت لشخص لشدّت إليه الرحال: العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال شمس الدين بن الفخر كان إماما بارعا حافظا متقنا، أتقن علوما شتىّ وصنّف التصانيف الجمّة، وكان شديد الورع والزهد، تاركا لجميع ملاذ الدنيا من المأكول إلا ما يأتيه به أبوه من تين وكعك، وكان يلبس الثياب المرقّعة الرثّة ولا يدخل الحمام، ولا يأكل الفواكه، ولم يتناول من الجهات درهما!

ولك أن تتخيل كم المصنفات والدروس والعلوم التي برع فيها، والفتاوى التى أفتى وكان له جمع عظيم من الطلاب يفدون إليه، معظم وقته ما بين العبادة والمطالعة والتدريس والفتوى في دار الحديث بالشام التي عرفت به، ولم ينم من الليل إلا قليلا، ولم ينل قسطا من الراحة إلا أن يتناول ما يتقوت به، ويعينه على مواصلة يومه، وسيره في طلب العلم، فحتى الأكل عنده كان مجرد وسيلة لطلب العلم، ولم يتزوج لضيق وقته! وهذا من أعجب ما طالعناه في سير العلماء أن ينسى العالم أن يتزوج أو لم يجد عنده الوقت اللازم للنكاح!

ويكفيه فخرا كثرة تلاميذه وغزارة نتاجه، حتى أن مئات الرسائل والبحوث والدراسات تناولت شيخ الإسلام رحمه الله وجهوده في العقيدة والحديث والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم والفنون والمعارف

الإمام السيوطي

رحمه الله عارفا بقيمة الوقت، عفيفا زاهد، يستغنى عن الوقوف بأبواب الأمراء أو السادة لا يسأل الناس، أكتفى بما قدر الله له من خانقاة الأمير شيخون بالصليبة، أعتزل الناس وتفرغ للتأليف فألف أكثر من ثلاثمائة مؤلف وقيل بل أكثر من ذلك، وقال ابن اياس بل ٦٠٠ ومنها مجلدات ككتابه حسن المحاضرة، أو الأشباه والنظائر أو بغية الوعاة، كتب في التفسير والتاريخ والحديث والمصطلح، والفقه والفتوى، والقراءات واللغة والتصوف والأدب .

وظل السيوطي من سن الأربعين وحتى بلوغه الستين حتى وفاته لا يقابل الناس إلا قليلا مترفعا عنهم لا يضيع وقته إلا في المذاكرة والمدارسة والعلم. في بيته في جزيرة الروضة بجوار مقياس النيل (المنيل)

وفي ترجمة الشاطبي رحمه الله أنه كان يكره فضول الكلام، ولا يتكلم إلا للضرورة، ولا يقرأ إلا على طهارة. وكان الصالحون يعدون فضول الكلام إثما!!

ومن جميل ما قاله ابن عطاء: لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى } (٤٢) النجم وانظر إلى قوله صلى الله عليه و سلم : " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ...

. وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدى العقول أو العيوب المنطق

وزن الكلام إذا نطقت ولاتكن ثرثارة في كل ناد تخطب .

واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطب

نصائح لاستثمار الوقت بالصورة الأمثل:

١- تجديد النية واحتساب ما تقوم به لله، كما كان يقول بعض الصالحين إني لاحتسب قومتي ونومتي، فعليك أن تجدد النية وأن تستحضر العزيمة والهمة الصادقة مع الاستعانة بالله

٢- البدء بالاستعاذة والبسملة وشيء من كتاب الله مما تيسر لك وإن كنت تحفظ مثلا آية الكرسي وأخر سورة البقرة وشيء من القصار، مع الإكثار من الاستغفار والتسبيح والصلاة

والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أصل من الشرع يطول ذكره وسرده

٣- اختيار وقت النشاط مثل البكور وما بين صلاتي العصر والمغرب، ووقت السحر، مع تقسيم الوقت ما بين المذاكرة والعمل والمطالعة والصلاة والطعام والراحة مع احتساب كل ذلك لله

٤- توزيع المهام على الوقت بعملية حسابية منظمة ودقيقة، فلو قلنا مثلا أن هناك طالب علم لديه مقررات دراسية في تسعين يوم وعليه أن يفرغ منها قبل تلك المدة فمن العبث أن يترك نفسه سدى، بلا تخطيط أو تنظيم، لكن الطالب المجد يوزع المهام على الوقت المتاح، هكذا سائر الأشخاص في حياتهم

٥- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد، فتتدارك عليك الأمور وتضيع يقول الحق جل جلاله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو غيره: أن موسى لما أرد فراق الخضر قال له الخضر: استودعك الله، فقال له موسى: أوصني، فقال له الخضر، لا تكن مشاء في غير حاجة، وإياك واللجاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطائين بخطاياهم، وابك على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد

٦- إياك والشواغل: فإن الشيطان يريد بك الشر، ولا يريد لك الخير، فإياك والعزلة في غير علم، وإياك والشواغل ما بين الهاتف ووسائل التفكك المسماة عبثا بالتواصل، وإياك ما يضيع وقتك فيما لا يفيد، أشغل نفسك دائماً بما ينفعك في دينك ودنياك، ولا تترك للفراغ مساحة يستغلّها الشيطان فيغويك، فتنقل من عملٍ لآخر.

٧- تحديد الأهداف والأولويات، وأبدأ بما تستطع انجازه وإياك والتسويف، وفي كل أمورك استعن بالله ولا تعجز، بدوام الذكر، واجتهد أن تعرف كل يوم الجديد، فإن ضاع منك يوم ولم تتعلم فيه فأنت في وبال وخسران، واجعل دوما وجهتك لله عملا بقول الله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

قيل: وأعظم الأسباب النافعة منه كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك، وشرط حصول النفع بجميع ما ذكر صفاء القلب من الكذب، والإخلاص في التوبة، والندم على ما فرط منه، وإلا فغلبة أسباب الداء تبطل نفع الدواء كأن يغفل عن ذلك حتى تهجم

عليه الآفة ثم يطلب الإقالة بذلك فلا يجد إليها سبيلا، وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه أحسن ما يداوى به الطاعون التسبيح، ووجهه أنه يدفع العذاب قال الله تعالى: {فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات: ١٤٣]

كتبه وجمعه الفقير إلى عفو القدير محمد بن سالم الصعيدي الشافعي الأزهري

نسألكم الدعاء له بالسلامة والستر ولأبيه بالرحمة ولأمه بطول العمر وحسن الخاتمة

ولعموم المسلمين بالستر والهداية ولمصر وبلاد المسلمين بالحفظ والسلام